سلسلة لباب التزكية (١)
هدي السلف الصالح في التربية
وسائل عملية

أول الإيمان

سئلَ رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم:
أيُّ العمـــــلِ أفضلُ؟ فقـال:
"إيمانٌ باللّه ورسولِه"

بقلم فضيلة الشيخ
د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري
رئيس المجلس العلمي للإفتاء برابطة أهل الحديث باليمن

أول

الإيمـــان

بقلم فضيلة الشيخ

د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

بسم الله الرحمن الرحيم

أول الإيمان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا سيد المرسلين، وبعد: فللإيمان حقائق ومؤشرات تقيس لك حجم إيمانك ووزنه، فمن الناس من يبلغ إيمانه كالنخلة، ومنهم من هو دون ذلك، ومن من يبلغ الجيل، ومنهم من هو فوق ذلك، وسلمان الفارسي ﷺ لو كان الإيمان عند الثريا لبلغه، ومن الناس من حجم إيمانه كإبهام قدمه، ومنهم من يضيء إيمانه تارة، ويخفت تارة، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما ملئ إيمانًا إلى مُشاشه؛ أي رؤوس عظامه، ومن الناس من وزن إيمانه كوزن الدينار، أو نصف دينار، أو مثقال برة، أو مثقال شعيرة، أو مثقال ذرة، ومنهم من يزن إيمانه السموات والأرض.

فما قدر وزن إيمان قلبك ؟ وما قدر وزن إيمان لسانك وجوارحك ؟، وتذكر أن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكن شيء وقر في القلب، وصدقه العمل، فما الذي وقر في قلبك، وصدقه عملك ؟.

فضل الإيمان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سئلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ فقال: "إيمانٌ بالله ورسولِه"، قيل: ثم ماذا؟ قال:

"الجهادُ في سبيلِ الله"، قيل: ثم ماذا؟ قال: "حجٌّ مبررٌ"، أخرجه البخاري ومسلم.

وإيمان العباد متفاوت، فليس الناس في الإيمان سواء، يقول عبد الله ابن مسعود ﷺ: "إنَّ الله قسَمَ بينكم أخلاقَكُمْ، كما قسَم بينكم أرْزاقَكم، وإنَّ الله يُؤْتي المالَ من يُحبُّ ومَنْ لا يحِبُّ، ولا يُؤتي الإيمانَ إلا مَنْ أحبَّ، فإذا أحبَّ الله عبداً أعطاهُ الإيمانَ"، أخرجه الطبراني.

ولا بد للإيمان من عمل: فعند الطبراني في الكبير عن أبي كثير السحيمي عن أبيه قال: سألت أبا ذر ﷺ قلت: دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة، قال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ قال: "يؤمن بالله واليوم الآخر"، قلت: يا رسول الله، إن مع الإيمان عملاً؟ قال: "يرضخ مما رزقه الله"، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ به؟ قال: "يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر"، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان عييًا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ قال: "يصنع لأخرق"، قال: أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟ قال: "يعين مغلوبًا"، قال: أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مغلوبًا؟ قال: "ما تريد أن يكون في صاحبك من خير؟ يمسك عن أذى الناس"، فقلت: يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: "ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء؛ إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة".

أصل الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ أصل إيمان القلب: في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ سئل: ما الإيمان؟ فقال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله"، فصدِّق بوجود الله، وانفراده بالربوبية والكمال والألوهية، ووجود جنوده من الملائكة، وصدق رسله إلى خلقه، ورضى بأحكامه القدرية في قضائه وقدره، وأحكامه الشرعية في كتبه، وأحكامه الجزائية في اليوم الآخر.

(ب) وكيف تبلغ أصل إيمان اللسان والجوارح: في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "هل تدرون ما الإيمان بالله؟"، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسًا من المغنم"، فحقق أركانها وشروطها، وأخلص لله فيها، فعن أبي فراس الأسلمي ﷺ قال: نادى رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: "الإخلاص"، أخرجه البيهقي.

دليل الإيمان:

(أ) فكيف تحقق دليل إيمان القلب: في الصحيحين من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"، فحقق حبهم، وأبغض من أبغضهم.

(ب) وكيف تبلغ دليل إيمان اللسان والجوارح: في مسند أحمد عن أبي أمامة ﷺ، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: "إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك فأنت مؤمن"، فافرح بطاعتك، وابكِ على خطيئتك.

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

أضعف الإيمان:

(أ) فكيف تعرف أنك في درجة أضعف إيمان القلب: في صحيح مسلم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"، وفي لفظ: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل"، فليكن في قلبك كراهية ما يبغضه الله تعالى.

(ب) وكيف تعرف أنك في درجة أضعف إيمان اللسان والجوارح: في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن

قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"، فمتى لم تحرص على ما ينفعك، وضعفت استعانتك بالله، وكثر في نفسك التحسر والوساوس فقد ضعف إيمانك.

نصف الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ درجة نصف إيمان القلب: عند الطبراني في المعجم الكبير قال عبد الله بن مسعود ﷺ: الصبْرُ نصْفُ الإيمانِ، واليَقينُ الإيمانُ كُلُّه، وعن علي ﷺ قال: الإيمان نصف صبر، ونصف شكر، فاحرص على أن تحمل نفسك في البلاء على الصبر، وفي السراء على الشكر.

(ب) وكيف تبلغ درجة نصف إيمان اللسان والجوارح: في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الطَّهور شَطْرُ الإيمان"، وعند ابن ماجه: "إسباغُ الوضوء شطرُ الإيمان"، فاجتهد في المحافظة على الوضوء وسننه، ولو في المكاره.

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

طعم الايمان:

(أ) فكيف تبلغ درجة أن تجد طعمًا لإيمان القلب: في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً"، فربِّ قلبك على أن يرتقي من الصبر إلى الرضا.

(ب) وكيف تبلغ درجة أن تطعم طعمًا لإيمان اللسان والجوارح: عند أبي داود عن عبد الله بن معاوية الغاضري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "ثلاث من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام ... وزكى نفسه"، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: "أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان"، فاحرص على أن تطيب نفسك في عبادة الله، والإنفاق في سبل مرضاته.

حلاوة الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ درجة أن تجد حلاوة لإيمان قلبك: في الصحيحين عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار"، وعند مسلم:

"من أن يرجع يهوديًا أو نصرانيًا"، فاجتهد أن تصدق الله إذا اختبرت اختبارات الإيمان: من تقدم؟، ولماذا تقدم؟، ومن تؤخر؟.

(ب) فكيف تبلغ المرأة درجة أن تجد حلاوة لإيمان لسانها وجوارحها: عند الحاكم من حديث معاذ ﷺ، أن النبي ﷺ قال: ""لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ من عظم حقه عليها، ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قَتَبٍ"؛ أي ولو كانت على ظهر بعير حال ولادها.

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

حقيقة الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ حقيقة إيمان القلب: في مسند أحمد عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"، فاصدق الله عز وجل عند اختبارات القدر، والرضا بالمصائب.

(ب) وكيف تبلغ حقيقة إيمان اللسان: عند أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"، فاعتنِ على حفظ لسانك من أن ينطق بكلمة محرمة.

(ج) وكيف تبلغ حقيقة إيمان الجوارح: في صحيح ابن حبان عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير"، فتعامل مع الناس بما تحب أن يعاملوك.

حتى تبلغ حقيقة الإيمان اعتقادًا وعملاً، قال الله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال: ٢ - ٤].

كمال الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ كمال إيمان القلب: في سنن أبي داود عن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"، بل عند أحمد: "إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله"، فاجعل كل رغباتك ومكروهاتك، وكل بذلك ومنعك لأجل الله عز وجل.

(ب) وكيف تبلغ كمال إيمان اللسان: عند أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لا يؤمن العبدُ الإيمانَ كلَه حتى يترك الكذبَ في المِزاحة والمِراء، وإن كان صادقًا"، وعند أبي يعلى من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا: "لا يبلغ العبدُ صريحَ الإيمان حتى يدعَ المُزاحَ والكذب، ويدع المِراءَ وإن كان مُحقًّا"، فاجتهد في الترفع عن المزاح والمراء.

(ج) وكيف تبلغ كمال إيمان الجوارح: عند الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم"، فاجتهد أن تعامل الناس بأحسن ما تستطيعه من خلق.

حتى تبلغ صدق الإيمان، اعتقادًا وعملاً، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الحجرات: ١٥ - ١٧].

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

نفي الإيمان:

(أ) وليحذر العبد من أن ينتفي الإيمان عن قلبه: فعند الحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "الحياء والإيمان قُرَناءُ جميعاً، فإذا رُفعَ أحدُهما رُفعَ الآخر"، فاحذر أن يرتفع الحياء من قلبك.

(ب) وليحذر من أن ينتفي الإيمان عن لسانه: فعند الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: "يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم؛ تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته؛ يفضحه، ولو في جوف رحله"، فلا تغتاب مسلمًا، أو تتيع عوراته.

(ج) وليحذر من أن ينتفي الإيمان عن جوارحه: فعند أبي داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إذا زنا الرجلُ خرج منه الإيمانُ، فكان عليه كالظُّلَّةِ، فإذا أقْلَعَ رجع إليه الإيمانُ"، فتجنب الزنا ودواعيه.